الشَّبه بين الشيطان إبليس ومَن فيه شعبةٌ خارجية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا رَيْب أنَّ كثيرًا مِن النُسَّاك والعُبَّاد والزُهَّاد قد يكون فِيهِ شُعْبَةٌ من الخَوارِج، وإن كانَ مُخالفًا لَهُم فِي شُعبٍ أُخْرى».

قلت: من أسباب وبواعث هذه الشعبة: تحكيم الهوى والعقل على النقل، فما وافق هواهم وعقلهم قبلوه، وما خالف هواهم وأمراضهم نبذوه وراء ظهورهم، ولو أتيتهم بالأدلة القاطعة فلن يتزحزحوا عما هم عليه إلا من رحم ربك، وقليلٌ ما هم.

ومن أعظم البواعث والأسباب لهذا الضلال: عدم التسليم والرضى بالقدر خيره وشره، فهذا الضلال ناشئ عن الهوى. والشيطان إبليس والعياذ بالله عصى أمر الله وامتنع أن يسجد لآدم -عليه السلام- لأنه مخلوق مثله، رغم أنه يسجد لله تعالى ولا يمتنع من ذلك. فالخارجي أو من فيه شعبة خارجية فيهما شَبه من إبليس؛ فإن الخارجي يقول: لا حكم إلّا لله ولا أمر إلّا لله، وفي المقابل لا يحتكم لأمر الله تعالى وشرعه المحكم.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا ستَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا». قَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ، كَيفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذلكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وتَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ». وقال رسول الله ﷺ: «من أراد

أن ينصح لِذي سلطانٍ فلا يُبْدِهِ علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به؛ فإن قبل منه فذاك، وإلّا كان قد أدّى الذي عليه».

فالخارجي وصاحب الشعبة الخارجية لسان حاله أو مقاله يقول: لن أخنع لأمر رسول الله ﷺ وسأنصحه علانية، فلن أسكت عن حقي عنده ولو أمرني رسول الله ﷺ بإخفاء النصيحة للسلطان وأن أسأل الله الذي لي؛ فهو مخلوق مثلي، لماذا يُعطى هذه الخاصية؟! فأنا إنسان وهو إنسان، لماذا يُميَّز؟! فنحن سواسية!

فقول الخارجي أو صاحب الشعبة الخارجية فيه شَبه من هدي إبليس؛ حين كان موقفه بأنه لا يسجد إلّا لخالقه، وأنه لا يقبل أن يسجد لمخلوق مثله!

وهذا حال كفار قريش في تحكيم الهوى: ﴿وَقَالُوا: لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾؛ لماذا كانت النبوة لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟! لماذا لم تكن النبوة في أحدٍ من عظماء قريش أو الطائف؟! قال تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ؛ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

كتبه:

محمد عثمان العنجري

الثلاثاء 7 صفر 1443هـ

الموافق 14 سبتمبر 2021م